

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا (165)

(سورة النساء)

بعد الرسول لا يوجد حجة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (47)

(سورة القصص)

لو أن الله تعالى لم يرسل الرسل لكان للناس حجة على الله، والله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُلْ قَالِهِ ۚ لِحُجَّةٍ ۚ نُبَلِّغُهُ ۚ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149)

(سورة الأنعام)



الحجة لله تعالى وحده

فليس لأحد حجة على الله؛ ومن ذلك أنه أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وفطر الإنسان الفطرة السليمة، وأعطاه عقلاً يبين له ما ينبغي وما لا ينبغي، وأعطاه فطرة سليمة تبنيه على خطئه، وفوق كل ذلك أنزل له كتاباً وشرعاً وبعث له رسولاً فلم يعد هناك من حجة للناس على الله، وإنما الحجة لله تعالى وحده فقال: (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ ۚ لَعَزَى الْأُممِ ۚ) أي بسبب ظلمهم (الباء) بآء السبب؛ أي لم يكن ليهلكهم بسبب ظلمهم، فالظلم أحد أسباب خراب الأمم وهلاك الأمم، وكان ابن خلدون يقول: "الظلم مؤذن بخراب الأمم"، من أعظم أسباب هلاك الأمم الظلم، فإذا حل الظلم وانتشر فإن هذه الأمة معرضة للهلاك (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ ۚ لَعَزَى) أي لن يهلكهم بسبب ظلمهم (وَأَهْلُهَا عُفُلُونَ) أي حالة كون أهلها في غفلة، والغفلة ضد اليقظة، المتيقظ يفهم الأمور كلها، الغافل يغيب عنه بعضها، فإذا كان غافلاً عن شيء فإن الله تعالى لا يهلك القرى بغفلة وإنما يبين لها ثم يهلكها إن لم تستجب، وفي هذا تعليم لنا، هذا درس تربوي مهم جداً، طريقة تعامل الله تعالى مع عباده هي طريقة تربوية في تعاملنا مع أبنائنا ومع طلابنا، مع أزواجنا، مع موظفينا، مع كل من حولنا ممن هم تحت أيدينا؛ لأنه ليس هناك عقوبة قبل بيان، ما يستقيم أن تأتي إلى زوجتك بعد الزواج بشهر وتقول لها: لماذا فعلت كذا؟ وتغضب وتقيم الدنيا ولا تقدها وأنت لم تخبرها سابقاً أن هذا الأمر لا تحبه أو لا ينبغي أن يكون، فالعقوبة تأتي بعد البيان وليس قبله، أيضاً مع الموظفين إن لم يكن هناك بيان واضح بأن هذا الأمر لا ينبغي بلاغ واضح مرسل على بريدهم أو على هاتفهم أو معلق في مكان واضح جداً عند مدخل الشركة، فلا ينبغي أن تعاقب قبل أن تبين، فلا عقوبة إلا بعد بيان (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ ۚ لَعَزَى بِطَلْمٍ ۚ وَأَهْلُهَا عُفُلُونَ)، فلما أرسل الرسل -جل جلاله- أصبح أهلها متيقظين يعرفون الحق والباطل، يعرفون الخير والنشر، فلما عرفوا وانحرفوا استحقوا الهلاك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَزَقُكَ يَغْفِلِي عَمَّا تَعْمَلُونَ (132)

(سورة الأنعام)

(ولكل) جاءت بالنكرة لتشمل كل إنس أو كل جن؛ كل مخلوق مكلف، (وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ) والدرجات هي المراتب في العلو، والدرجات هي المراتب في الدنو، فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار، والمؤمنون في الدرجات العلا من الجنة وأعلاها الفردوس، فهناك درجات ودرجات، (وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا) من عملك تأخذ درجة، وهذا العمل تأخذ درجتك فيه إما بكثرته أو بإخلاصك لله تعالى فيه، بكثرته الذي جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم:-

{ .. أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَخْلَلْتُ الْخَلَالَ، وَحَزَمْتُ الْخِرَامَ، وَلَمْ أَرِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَلَدُّخُلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: تَعَمْ،

قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا }

(رواه مسلم عن جابر بن عبد الله)



الدرجات هي المراتب في العلو

أخذ درجة؛ درجة في العمل اكتفى بها، في رواية قال-صلى الله عليه وسلم-: "أفعل إن صدق"، فأخذ درجته، لكن ليست درجته كدرجة من يصلي المكتوبات ويصلي معها قيام الليل بالتأكد، لا يستويان لكن لو أنهما استويا في العمل فلا يستويان في الإخلاص (وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا) الدرجة مختلفة، نحن البشر قد نستطيع بوسائل قياس معينة أن نقيس حجم العمل وكثرته أو قلته؛ أي ممكن أن أقول: هذا الطالب درس ست ساعات، وهذا درس ست ساعات بالضبط، ممكن أن أقول هذا المصلي صلى ثمانين ركعات قيام الليل وهذا ثمانين ركعات قيام الليل، هذا صلاحهم في ساعة وهذا في ساعة، هذا قرأ فيهم جزءاً وهذا قرأ فيهم الجزء نفسه ممكن، لكن هل يستويان عند الله في الإخلاص؟ لا أعلم، وفي الأعم الأغلب لا يستويان، ولا أدري من ولا يحق لي أن أتدخل في درجة كل منهما، لا أستطيع أن أعرف، بل لا يحق لي أن أتدخل أصلاً، فرينا -جلّ جلاله- يقول: (وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ) أي لكل إنسان درجات متناسبة مع عمله، وهذا لا يستطيعه إلا رب العباد، أنت الآن عندك موظفون، أردت أن تكافئ موظفاً حسب المعطيات التي وضعتها أنت قلت: موظف هذا الشهر فلان، وأعطيته جائزة، وقد يكون عندك موظف مخلص أكثر منه للشركة ويعمل أكثر منه لكن أدوات قياسك لم تستطع الوصول إليه، ذلك مبلغك من العلم، وقد تُفاجأ بعد حين أن هذا الذي أعطيته جائزة موظف الشركة كان يسرق الشركة، لكن بدا لك أنه يعمل من أجل الشركة، هذا بمقدارنا نحن، أنت مع الموظف لك خيارات محدودة، أقول لك: ما خياراتك معه؟ تقول لي: إما أن أبقيه على حاله، وإما أن أرفعه فأرفع راتبه، أو أنزل مرتبته فأخفض راتبه، أو أطرده من العمل نهائياً، هل توجد خيارات أخرى؟! تكافئه، تعاقبه، تزيد راتبه، تنقص راتبه، تنقيه على حاله، تطرده من عمله فقط؛ هذه خياراتنا مع بعض، لكن ليس عندك خيار أن تصيبه بمرض، ما عندك خيار أن تميته الموت بيد الله وحده، لكن ربنا - عزَّ وجلَّ- خياراته مطلقة ودرجاته لا محدودة، فإذا كان في الأرض اليوم ثمانية مليارات من البشر فلا أبالغ إن قلت ربما يكون هناك ثمانية مليارات درجة كل واحد بدرجته، أما أنت إذا عندك بلد فيها 20 مليون فيها 100 ألف موظف تنزلهم بخمس درجات؛ موظف درجة أولى، ثانية، ثالثة، رابعة، خامسة، فالمئة ألف ينضعطون معك بخمس درجة، أما ربنا يضع لكل عبد من عباده درجة متناسبة مع علمه وعمله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّجُوا فِي الْمَجَالِسِ فَإْفْسُجُوا يَفْسُجِ لِلَّهِ كَلِمٌ وَإِذَا قِيلَ نَشُرُوا فَاشْرُوا يَشُرِ لِلَّهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْنُوا لَعَلَّكُمْ تَرَجَّتْ لَهُمْ وَلِلَّهِ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ (11)

(سورة المجادلة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَانَ يُرِيدُ لِعِزَّةِ اللَّهِ لِعِزَّةَ حَمِيحًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ لَكُمْ لَطِيبٌ وَلِعَمَلٍ لَصِيحٌ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ لِسَيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ (10)

(سورة فاطر)



عند ربنا عز وجل العدل مطلق

(وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا) فقيمتان علم وعمل يتكاملهما يأخذ العبد مرتبته ودرجته عند الله، في كل لحظة ترتفع درجته أو تنخفض، المقياس عند ربنا -عز وجل- عدل مطلق، في الأرض لا يوجد عدل المطلق يوجد عدل نسبي، تستطيع أن تقول: أنا عادل بين طلابي وأعطيتهم الفرص واحدة... كذا، لكن مطلق مستحيل لأنك لا تعلم النوايا أما عند ربنا فالعدل مطلق، قال: **(وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)** أنت قد تغفل عما يعمل فلان فلا تعطيه درجته، لكن ربنا -جل جلاله- لا يغفل عن أعمالهم فيعلم كل عمل وحممه وإخلاص العبد فيه وباعته عليه وهدفه منه **(وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ تَعَلِّكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءآخِرِينَ (133)

(سورة الأنعام)

(وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ) ربك أيها الرسول هو الغني عن عباده فلا يحتاج إليهم ولا إلى عبادتهم.

{ ... يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَجْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَنْفَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاجِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا

عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَجْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاجِدٍ؛ مَا نَقَمَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا... }
(أخرجه مسلم عن أبي ذر الغفاري)



الإنسان لا يستغني

فرينا -جلّ جلاله- لا تزيد عبادتنا مُلكاً وقوة -حاشاه- ولا ينقصه فجور من فجر من ملكه وقوته وجبروته -جلّ جلاله- ربك الغني وحده نحن لسنا أغنياء، لا يوجد إنسان منا عنده غنى بمعنى الغنى؛ أي الاستغناء عن الآخرين، أنت في أي مكان كنت في آخر الشهر لا تستغني عن الحلاق لينشذب لك شعرك، رئيس أم خفير أم أمير آخر شيء يسلم رأسه للحلاق؛ لا نستغني عن بعض، ويسلم نفسه للخباز هو يطعمه الخبز، ويسلم نفسه لمئة جهة والجهة لأنه لا يستغني، نحن بحاجة إلى بعض جعل الله بعضنا لبعض سخرياً، سخرنا لخدمة بعضنا، فمهما بلغ الإنسان من الغنى فهو لا يستغني، لا يستغني عن الطبيب لو كان ملكاً، إذا شعر بألم في بطنه أو رأسه فوراً إلى الطبيب، الإنسان لا يستغني، ربنا هو الغني وحده، نحن الفقراء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ لِقُرْبَاءِكُمْ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15)

(سورة فاطر)

ومع الغنى يأتي في بعض الآيات (الحميد)، وهنا (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ) لأن الأغنياء غالباً -بمعنى المستغنين- لا يحمدون أحداً على شيء فعله، الغني كلما استغنى عن الناس فإذا جاءه إنسان ليقدم له خدمة يشعر أن هذا الذي يقدمها له مجبر عليها فيبخل أن يقول له: شكراً، يقول: يجب أن يشكرني أي أنا اتصلت به ما اتصلت بغيره، فلا يحمد أحداً على فعل رغم افتقاره إليه، أما الغني -جلّ جلاله- فهو رغم غناه المطلق عن الخلق يحمد لهم أفعالهم، فإذا فعلوا خيراً كافأهم وإذا فعلوا معروفاً أثابهم في الدنيا أو في الآخرة أوفي كليهما،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (26)

(سورة لقمان)

وهنا (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ) رغم أنه غني عن جميع خلقه فإن غناه عنهم لا يعني أنه لا يرحمهم، وإنما يرحم خلقه رغم غناه عنهم، (إِنْ تَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ) ما دام مستغنياً عن خلقه، فلو شاء لذهب بهؤلاء الذين لا يعبدونه، (وَيَتَسَاءَلُونَكَ عَنِ الْغَنِيِّ) وينتسألونك عن الغني، (كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمًا آخَرِينَ) كما خلقكم أنتم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم، نحن الآن جننا من نسل آبائنا وأبائنا من نسل أجدادنا وهكذا، فكما جاء بنا ربنا -جلّ جلاله- فإنه قادر أن يأتي بقوم آخرين يعبدونه حق عبادته، لكن لأنه غني عن عباده فهو -جلّ جلاله- لا تتفقه طاعة الطائعين ولا تصره معصية العاصين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (134)

(سورة الأنعام)

(إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ) هناك وعد وهناك وعيد، وكلاهما يوعدهما الإنسان، وعد الله آت لا محالة، وهنا الوعد وعد تخويف (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) أي لن تستطيعوا أن تفلتوا من قبضة الله تعالى، (بِمُعْجِزِينَ) أعجزه أي جعله أعجزاً عنه، الأم أحياناً تقول: ابني أعجزني بالعامة، أي أعجزني، لم أعد قادرة على ضبطه يا أخي فهو معجز لي، أعجزني عن ضبطه، جعلني أشعر بالعجز، ما تركت سبيلاً لا ترغيب لا ترغيب فأعجزني، (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) ربنا -عز وجل- صاحب القدرة المطلقة فلا يظن إنسان أنه يعجز الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنَّا طَنَّا أَنَّ لَن نَعْجَزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نَعْجَزَهُ هَرَبًا (12)

(سورة الجن)



الله تعالى صاحب القدرة المطلقة

لا يوجد إنسان يستطيع أن يعجز الله لأن الله صاحب القدرة المطلقة، (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) فوعده آت، لكن السؤال لو إنسان سأل مني وعده؟ لا تظن أنه أعجز الله فلم يأخذ الحق منه، لكنه يمهله لحكمة-جل جلاله-، (إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) هؤلاء المجرمون الذين يعيشون في الأرض فساداً، يضربون، يقصفون، يقتلون، يستبيحون الدماء، ليسوا بمعجزي الله، ربنا -عز وجل- كن فيكون يأخذهم، لكن وعده يأتي في الوقت الذي يريده هو وبالحكمة التي يريدها هو -جل جلاله-، (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يُعْقِبُ مِ الْعَمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِيَّيْ عَامِلٍ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقِبَةُ لَدَارِئِهِ لَا يُفْلِحُ لَطْلُمُونَ (135)

(سورة الأنعام)

القوم: المجموعة من الناس وهي غالباً تطلق على المجموعة من الرجال لأنه يقوم الأمر بهم، الرجل مهياً لأن يقوم، والمرأة في الأصل لأن تقر في بيتها وتقوم ببيتها، فالقوم في الأصل يطلق على الرجال، والدليل قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا لَدِينٍ عَامِنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَتَابَرُوا بِاللَّعْنَةِ إِن سَمُّ لَفُسُوقٍ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ لَطْلُمُونَ (11)

(سورة الحجرات)

فالقوم هنا الرجال، وفي الشعر الشاعر قال:



اجعل العمل صفة لازمة فيك

لم أعد أعرف إذا رجال أو نساء، فسمي القوم رجالاً، فالقوم في الأصل تطلق على الرجال، وقد تطلق على النساء والرجال (قُلْ يُقَوِّمُ عَمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ) لذلك القوم ترتبط بالعمل؛ أي أنتم اعملوا على مكاتبتكم، على قدرتكم، استنفذوا الجهد في الصد عن سبيل الله؛ تحذُّ (قُلْ يُقَوِّمُ عَمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ) أي ما تستطيع عمله اعمل (بدك وما تعمل)، (قُلْ يُقَوِّمُ عَمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِيَّيَّي عَامِلٍ) وأنا سأعمل، لكن انظر ربنا - عزَّ وجلَّ - قال: (قُلْ يُقَوِّمُ عَمَلُوا) استمرار (اعملوا) فعل، ما قال: إني سأعمل (إِيَّيَّي عَامِلٍ) العامل صفة ملازمة لي لن أترك العمل، أنت في صراعك مع الباطل إياك أن تترك العمل؛ لأنك مجرد ما تركت العمل فأنت تركت لهم المجال ليدخلوا، لا تتوقف عن العمل، اجعل العمل صفة لازمة فيك، (إِيَّيَّي عَامِلٍ) أنا مهمتي العمل لن أتركه، (إِيَّيَّي عَامِلٍ) فَتَعْمَلُ الْمُؤْمِنُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ غَفِيَةٌ لِدَارِ الْجَنَّةِ، (إِيَّيَّي لَّا يُعْلِيحُ لَطِيفُونَ) هذا قانون أحببنا الكرام؛ ما تجدونه الآن من هيمنة الظالمين وعلوهم في الأرض هذا لا يعني أنهم قد أفلحوا، لا يفلح إلا المؤمنون، سورة المؤمنون، بدأت بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)

(سورة المؤمنون)

وختمت بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُعْلِيحُ لِكُفْرَانِهِ (117)

(سورة المؤمنون)



الفلاح للمؤمن فقط

الكافر لا يفلح، الفلاح للمؤمن فقط وهو النجاح العظيم، في القرآن لا يوجد نجاح يوجد فلاح وهو أن تحقق الهدف من خلقك، فإذا كانوا هم ظلموا وبغوا وطمعوا وعلوا ووطنوا أنهم انتصروا فرصاً ثم ذهبوا إلى جهنم فهل أفلحوا؟! أبداً، وأما إذا رأينا مناظر الدماء والأشلاء ووجدنا هؤلاء الذين قضاوا نهبهم إلى الله تعالى، فعلى العين قد قتلوا وقد نكل بهم لكنهم في الجنة إذا أفلحوا، فالفلاح ليس مرتبطاً بأن تحقق جزءاً من أهدافك في وقت محدد لسبب محدد يسمح الله تعالى لك به، وإنما الفلاح يقتضي أن تصل إلى الهدف الذي خلقت من أجله، ولذلك ليس الفلاح إلا للمؤمن، (إِيَّيَّي لَّا يُعْلِيحُ لِكُفْرَانِهِ) في سورة الصف قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10) (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11))

(سورة الصف)

إيمان وجهاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ لِقَاؤُهُ الْعَظِيمِ (12)

حسناً النصر؟! قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ تَصْرُفُ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۖ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13)

لكن النصر شيء ثانوي أمام الفوز، فإذا حققت الفوز ودخلت الجنة والمسكن الطيبة ولو دُمر مسكنك، لكن أخذت مكانه مسكناً طيباً في جنات عدن فأنت قد فزت، الآن تنتصر، أو لا تنتصر قال: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بشرهم بالنصر، قادم- إن شاء الله- لكن الفوز أخذته، فبعد الفوز بقي النصر شيئاً ثانوياً، قال: (إِنَّهُ لَا يُعْلِيخُ لَطَلِئُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْدِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ۚ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ ۚ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۚ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136)

(سورة الأنعام)



المال كله لله

(دَرًا) أي خلق وبت ونشر، هو الذي خلق الحرت والحرت هو الزرع، يسمى حرتاً لأنه ينتج عن الحرثة، فأنت لا تأخذ الزرع إلا بعد الحرت فسمي باعتبار أصله، (وَجَعَلُوا لَهُ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ ثَلَاثًا) أي ربتا -عزّ وجلّ- خلق الزروع وخلق الأنعام، والأنعام هي ثمانية أزواج -كما سيأتي تفصيله في السورة وهي سورة الأنعام- وهي البقر، والإبل، والضان، والغنم فهذه أربعة أصناف، وكل منها زوجان فهي ثمانية أزواج، (وَجَعَلُوا لَهُ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ ثَلَاثًا) أي انظر إلى هذه القسمة الطالمة أن يجعل للخالق نصيب من خلقه أي ليس كله لله؛ قسم لله، حسناً قسم لله قسم لله، كيف ربتا -عزّ وجلّ- بين لهم سوء فعلهم؟ قال: (فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْءٌ مِمَّا هُمْ) لأنه هو كله لله، إذا الإنسان يقول: هذا المال إلي وهذا لله، يكون لا يفقه شيئاً؛ المال كله لله، هذا اتركه لنفسه لأن الله أباحه لي وهذا أتصدق به لعباد الله، أما أن يقول: هذا لي وهذا لله؛ هذا مطلق الجهل، مثل الإنسان سيارة والده ركبها أول يومٍ ثاني يوم، بعدها قال له: بابا أنا سأخذ المقعد الأمامي وأنت خذ الخلفي، هي السيارة كلها لوالدك هو أباحها لك فصرت تقول: ملكي؟! فجعلوا له نصيباً ثم قال: (فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْءٌ مِمَّا هُمْ) كذباً وعدواناً، (وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا) سنقسم البيدر بالنصف، الأنعام جزء منها لله والجزء الثاني لشركائنا، لأنصائبهم، لأنصائبهم يتصرفون فيها لأهوائهم ويرغمون أنها لشركائهم وأنهم يتصرفون بها وفق أصنامهم والهنهم التي يعبدونها زوراً وبهتاناً من دون الله، (فَمَا كَانَ لَشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلَ إِلَى اللَّهِ) حصة الشركاء الذين أشركوهم مع الله ظلماً وعدواناً لا يصل شيء منها إلى الله (هذه لشركائنا)، حسناً تصدقوا على الفقراء على المساكين، لا هذه لشركائنا، حسناً والحصة الثانية؟ قالوا: (وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهْوٌ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ) أما النصيب الذي هم زعموا أنه لله جعلوا يأخذون منه لشركائه، (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) هذا حكم سيء، وتلك قسمة صبيزي، وتلك قسمة ظالمة وغير عادلة، في الأصل الملك كله لله تعالى، طبعاً هذه الأفعال كان يفعلها المشركون، والله تعالى فضحهم في هذه السورة لأن الأنعام لا تذبح إلا لله، لا يذبح غنم على ضب، وما ذبح على النصب لا يجوز أكله أصلاً؛ لأنك تذبح ما كان لله وتجتره لغير الله تعالى، اليوم ما عندنا هذا الأمر هذا الشرك الجلي ذهب، لكن اليوم الإنسان للتشبيه لطيفة من اللطائف؛ قد يأخذ مبلغاً من المال فيسحب الجزء الذي هو له ربع العشر الذي ليس حقاً له في المال ويبقى له الأكثر، ثم بعد ذلك يبدأ بالتحايل لعله يخفف الـ2,5% فيتصل أولاً يقول لك: يا شيخ هذا الذهب هل فيهم زكاة؟ أم كونهم ذهباً اشتريتهم لزوجتي لا زكاة فيهم؟ قلت له: هل هم حلي بالأصل؟ لا والله تجمعوا معي، قلت لنفسي: الأحسن ما أدهم، اشتري بهم سواراً للمرأة، حسناً هذا مال ليس حلياً في الأصل أنت به للترزين، ذهب الزينة عند جمهور الفقهاء ليس فيه زكاة إلا عند أبي حنيفة، أما الذهب الذي هو في الأصل مال حتى لا تتركه مالاً اشتريت به شيئاً من ذهب من أجل أن تحافظ على قيمته فهذا فيه الزكاة، فيتحايل لعله ينقص أو يقول لك: هذا جاء بأول الشهر، هذا بأخر الشهر لم يحول عليه الحول، وأنا قبل أن ينتهي الحول اشتريت سيارة، أو اشتريت البيت أو كذا من باب أن يخفف، هو كله لله لكن الزكاة التي هي حق الله الخالص التي لا ينبغي أن تدخل إليه، ثم بعد ذلك يقول لك: يجوز أعطيهم لأمي وأبي؟ قلت: أبوك وأمك نفقتهم واجبة عليك هؤلاء تعطيهم من حر مالك لا يصح أن تعطيهم، يصح أعطيهم لأولادي؟ لا هؤلاء أولادك أنت تنفق عليهم هم في بيتك، فكأنك أخذتها من هذا الجيب ووضعتها في هذا الجيب، ما أنفقت الزكاة، هذه تخرجها للخارج ولو للأقارب، بل يجب أن يتفقد الإنسان أقاربه إذا كان يملك -الشيء بالشيء يذكّر- مالاً كثيراً والله موسع عليه، فليجعل الـ2,5% خارج العائلة لكن بعد أن يكفي عائلته من صدقاته؛ يعطيهم يعطي أخته الفقيرة زوجها الفقير، يعطيهم من حر ماله ما يكفيهم، لكن إذا كان ما عنده غير هذه الزكاة نقول له: لا، تفقد أولاً الأخت وابن العم طبعاً، لكن ليس لمن يلزمك نفقتهم فهؤلاء لا يجوز أن تعطيهم من الزكاة، فيبعض الناس اليوم يحاولون أن يأخذوا من حق الله تعالى، وأما حقه يقول لك: أنا دفعت الزكاة، حسناً دفعت الزكاة لكن فلاناً بالعائلة مرض مرضاً شديداً وأنت معك والله كافيك فأعطنا من حصتك تجاوزاً، فتراه يعني يحافظ على ما له وما كان لله تعالى يحاول أن يخفف منه قدر الإمكان، وهذا أسلوب؛ لأن الإنسان إذا مسه الخير منوعاً يمنع، لكن يجب أن يعود نفسه أن ينفق مما آناه الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ رَزَقْنَا لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذَوْهُمْ وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِيْنَهُمْ ۖ وَلَوْ سَاءَ لِلَّهِ مَا فَعَلُوا ۚ قَدْ رُفِعَ
وَمَا يَفْقَهُونَ (137)

(سورة الأنعام)



الزواج علاقة سلمية وفق منهج الله

طبعاً يوجد تقديم وتأخير؛ أي زين الشركاء لكثير من المشركين أن يقتلوا أولادهم، (وَكَذَلِكَ) أي كما أنهم ظلموا بقسمتهم تلك التي بدعوتها؛ وهي أنهم يعطون لله شيئاً ولشركائهم شيئاً، وجعلوا يحتفظون بحصة شركائهم، وبأخذوا مما جعلوه لله لشركائهم، (وَكَذَلِكَ) كفعلهم هذا فعلوا شيئاً آخر فجعلوا يرتبون لكثير من المشركين وليس لكلهم؛ لأن قتل الولد -والعباد بالله- يحتاج إلى عتبت بالقطرة وليس بمجرد الدين، كما فعل اليوم دعاة الشذوذ، هو محاولة بالعبث بالقطرة وليس بالتدين، الزنا عتبت بالتدين، الزواج علاقة سلمية بين الرجل والمرأة وفق منهج الله، الزنا علاقة بين رجل وامرأة لكن خارج منهج الله هي فاحشة، لكن الشذوذ علاقة خارج إطار القطرة ليست علاقة خارج النص الشرعي، خارج إطار القطرة التي فطر الله الناس عليها، فالعبث بالقطرة صعب فلذلك لا تجد له قبولاً عند كل الناس، فكذلك قال: (وَكَذَلِكَ رَزَقْنَا لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ) أي شركاؤهم زينوا لهم قتل أولادهم أي جعلوه شيئاً حسناً، وهو -والعباد بالله- شيء سيء جداً أن يقتل الولد، فكانوا يقولون في بعض القبائل.

